جمهور من الادباء الغيورين على نشر المعارف والآداب — كل ذلك قد جاء موافقًا لنموه سهلاً لانتشاره

ونحن عاقدون النية على ان نجري على خطتنا السابقة ونستطرد البحث والتنقيب في هذا العام الجديد ونتخيَّر اطلى المواضيع واجلها واجزلها فائدة ونجاري علماء اوربا واميركا فنلتقط درر الفوائد من بحار مباحثهم ونجتني ثمار المنافع من رياض معارفهم ولا نترك حقيقة تذكر في دواوين العلم والفلسفة الاَّ ونوافي القراء بها خالية من الشوائب فيكون المُقتطَف تاريخًا للعلم والفلسفة والزراعة والصناعة في عامنا المقبل كما كان في الاعوام السالفة وديوانًا تبسط فيه المسائل التاريخية والاجتماعية والادبية والطبيعية . وتبقى ابوابهُ مفتوحة لاقلام علمائنا وادبائنا تباري فيه وتناظر في إحقاق الحقائق وكشف الغوامض . والله نسأل ان يسدِّد اقلامنا ويوفق مقاصدنا الى ما به الخير والنفع العام في ظل سلطاننا الاعظم السلطان عبد الحميد خان وخديوينا المعظم توفيق مصر الاوَّل رافع راية العلم في هذه الديار

الحال والمآل

قف بنا هنيهة على ساحل بحر الروم وانظر امواجهُ تتعالى وتعدو نحو الشاطئ مزبدة ثم تتنفس الصعداء وتعود ادراجها صاغرة وتأتي على اعقابها امواج اخرى تأخذ إخذها وتحذو حذوها فتعلو كما علت وتهبط كما هبطت . او قف على ساحل البحر المحيط وانظر ماءهُ يمدُّ ويطغى على الشاطئ فيرتفع ذراعًا بعد أخرى الى ان يعلو اربعين قدمًا فاكثر ثم ينحسر رويدًا رويدًا الى ان يجزر كلهُ . ويتكرَّر ذلك يومًا بعد يوم وسنة بعد أخرى على ممر الايام والاعوام وقابل ذلك بحال المخلوقات كلها من كواكب وشموس وجبال وهضاب وبرور وبحار ونبات وحيوان ترَ انها كلها جارية على سنَّة واحدة . فالحجارة النيزكية المنتشرة في عرض السماء تجتمع بقوة الجذب وتتصادم وتتحاك فتحمى وتشتعل وتصير غازًا والغاز ينتشر فيبرد فيتكاثف فيتقلص فيحمى ثانية وينير ويصير شمسًا كشمسنا ثم تبرد فتجمد وتصير ارضًا كارضنا ثم يصدمها كوكب آخر فيكسرها ويمزقها وتعود حجارة نيزكية منتشرة في عرض الفضاء كما كانت

والجبال ترتفع بقوة التقلص والضغط من جانبيها او بقوة الحرارة المستبطنة

الارض تحتها وتشخ الى السماء وتناطح السحاب وتعصبها الثلوج وتكسوها الحرائج وتمرح فيها الوحوش وتعشش فيها الاطيار ولكنّ احداث الجو من الحرّ والبرد والريح والمطر وادنياء الاحياء من الفطريات والميكروبات قد جادلها وتفتت صخورها وتجرف اتربتها وتلتيها في الهضاب والغار فلا تبقي منها الاّ اثرًا دارسًا . والبحار تعج امواجها وتهيج وترتفع جبالاً وتنخفض وهادًا والسيول تجرف اليها تراب البر والحرارة ترفع الارض من تحتها حتّى تردم وتصح برًّا فسيحًا وسهلاً خصيبًا والنبات والحيوان يولدان من بزور صغيرة حقيرة وبيضان ويعظمان ثم يخطان رويدًا رويدًا ويموتان ويندثران وشأن اجناسها وانواعها شان افرادها . وللارض وما عليها والسماء وما فيها تاريخ واحد متكرّر وهو ظهورٌ ونموٌّ وارتقاء وبعدهُ يجيءُ انحطاط واندثار وهكذا الى ما شاء الله ولكنّ كل درجة ترقاها هذه الموجودات اسمى من التي قبلها والاّ فالوجود ضربٌ من العبث

وما يجري على الموجودات الطبيعية يجري على اوضاع الانسان واحواله الاجتماعية فقد كان سلفاؤهُ الاولون يضربون في البراري والقفار يجتنون الاثمار البرية ويصيدون كل سانح وبارح احرارًا لا قيد عليهم فلا سنة تربطهم ثم استأثر بعضهم بالسيادة وتدرّجوا فيها من الرئيس الى الامير الى الملك الى السلطان . وكان الناس عبيدًا في اوّل الامر لرؤسائهم وامرائهم وملوكهم وسلاطينهم فجعلوا غير العبوديّة رويدًا رويدًا وانشأوا الحكم الدستوري فتساوى الحاكم والمحكوم لدى القانون وظهر كأنّ الانسان نال غاية ما يتمناهُ في هذه الحياة الدنيا ولم يبقَ لديهِ ما يشكو منهُ ضيمًا . ولكنّ الشكوى ليست قياس البلوى كما ابنّا في مكان آخر فالصبر يهوّن كل نائبة ويلين العزم حدّ المركب الخشن . والضجر يستثقل معهُ لطيف النسيم ويُخشّن زف الرئال . اليك مثلاً قريبًا في ما كانت عليهِ حال هذا القطر منذ عشرين سنة وما صارت اليهِ فقد اجمع المخبرون على ان دواة السوط كانت سائدة في انحاء هذا القطر وكان المال يبتزّ من العمد والمشايخ وكل مَن يُظَن ان عندهُ مالاً بالضرب والتعذيب واشتركت الحكومة والتجار والكبراء في هذه المظالم ولم تزل هذه السياط وآلات الضرب معلقة في بيوت بعض التجار والمداينين الى يومنا هذا شاهدة على ما كانوا يأتونهُ من المنكرات ولا رادع ولا مطالب . ولكن شكوى المظلومين حينئذٍ لم تكن اشد من شكوام اليوم اذا اهانهم المدير بكلمة او زجرهم مأمور المركز او ناظر القسم او رئيس البوليس او اراد احد من هؤلاء ان يأخذ منهم غرشًا اغتصابًا

ومنذ عشرين سنة لم يكن في البلاد محاكم تحكم بالقسط بين الرعية بل كان الحق للسيف

والدينار" والحسوبية". والآن نُظّمت المحاكم الاهلية وانتشرت المحاكم الجزئية ومع ذلك لم تبطل شكوى الاهلين بل زادت واتخذت صورًا أخرى لم تكن تخطر على بالهم قبلاً. والذي كان يأتي المجالس الملغاة من مسافة يومين ليترافع هو وخصمه صار يستصعب سير ساعتين لهذه الغاية ويشكو من بعد المسافة

وقبل ان انشئت سكك الحديد كان الناس يسيرون بين مدن هذا القطر راكبين على الخيل والجمال والبغال او مشاة على الاقدام ويمضي عليهم يوم بعد يوم وليلة بعد أخرى بين سير وسُرى مغبين طريين جزلين كانهم لا يجدون تعبًا ولا مشقة ولم يخطر على بال احد حينئذٍ ان يشكو من بعد المسافة واضاعة الوقت وتعب الركوب والمشي. والآن انتشرت السكك الحديدية في انحاء هذا القطر وقد شهد الخبيرون ان مركباتها احسن من مركبات سكك الحديد في ايطاليا وسويسرا ومع ذلك فاهالي الوجه القبلي يشكون لان مركباتهم دون مركبات الوجه البحري واهالي الوجه البحري يشكون لان الاكسبرس لا يقف في بعض المحطات التي يقف فيها القطر العادي والشكوى عامة في الوجهين حتّى لا تخلو جريدة من الجرائد اليومية منها

وقبل انتظام البريد كان الناس يدفعون على رسائلهم اضعاف ما يدفعونهُ الآن ولا ينتظرون وصولها من مدينة الى اخرى الاّ بعد ايام كثيرة ولم يكن احد يشكو من ذلك اما الآن فبغرش واحد ترسل الرسالة الى اقاصي الهند والبرازيل وبعد جزائر البحر. وبنصف غرش الى اي مدينة وقرية في هذا القطر وذلك باسرع ما تصل اليهِ سرعة البخار ومع ذلك فاقلّ تأخّر في توزيع المراسلات على اربابها تعلو له الشكوى من كل صوب. واذا ترك حيٌّ لم يوضع فيهِ صندوق للوسطة او بلدة لم ترسل اليها البوسطة الطوافة التي أوجدت بالامس علت شكوى اهل ذلك الحي وكان تلك القرية ونادت بها الجرائد تباعًا

ولم يشكُ اهالي هذا القطر من ظلم المماليك في زمانهم قدر ما يشكون الآن من تأخر بعض الرسائل التلغرافية عن ميعادها. واذا قسنا الرسائل التلغرافية التي ترد على غيرنا بالرسائل التي ترد علينا كان المتأخر منها ساعةً عن ميعادهِ نحو اثنين في المئة فقط وذلك بعد ان رخصت اجرتها هذا العام وزاد عددها ضعفين او ثلاثة فتأتينا الرسائل البرقية من اميركا الشمالية والجنوبية واطراف اوربا والهند والصين واستراليا وجنوبي افريقية ومن كل مدينة في هذا القطر يوم ارسالها بل ساعة ارسالها واذا تاخرت واحدة منها ساعةً واحدةً عن ميعادها لم نرَ بدًّا من الشكي والتذمّر. ولو قال احد

لرعمسيس او للاسكندر او لقيصر او لتيمورلنك او لبونابرت انه يأتي وقت يصل فيه الخبر من الهند الى مصر في ساعة من الزمان بل في يوم بل في اسبوع لعدوا القائل سكران يهذي ولو قال بل يصل في ساعة واذا تأخر ساعة اخرى عن ميعاده علت الشكوى من كل ناحية لقطعوا بانه مجنون وبعثوا به الى البيمارستان

ومهما تكن شكوانا فلا تذكر بالنسبة الى شكوى اهالي اوربا واميركا الذين يطعنون في النظام الحاضر كلهِ . واشدهم طعنًا فيهِ علماؤهم وادباؤهم وعندهم انهُ صيّر العمّال عبيدًا لاصحاب الاموال يتصرفون بوقتهم وقوّتهم كيف شاؤوا . واذا بحثت في تاريخ هؤلاء العمّال وجدت ان آباءهم كانوا عبيدًا للرؤساء والامراء يسومونهم الذل والخسف ويحشدونهم على الاسوار والخنادق يقاتلون بهم الاعداء ويتّقون بهم رمي السهام . والعامل منهم يعيش اليوم ولهُ من اسباب الراحة والرفاهة اكثر مما كان لامرائهم في عصر آبائهم . وحكوماتهم تعتني بامرهم اعتناء الوالدين باولادهم فتنفق على تعليم ابنائهم وتطبيب امراضهم وتنظيف شوارعهم ولكن ذلك كلهُ لا يرضيهم فيعتصبون مرة بعد اخرى ويتركون الاعمال او تزاد اجورهم وتقلّل ساعات العمل وقد نجحوا في ذلك وجعلوا ملكًا من اكبر ملوك اوربا ينقاد الى رأيهم ويدعو اخوانهُ الملوك للتبصر في شأنهم . ولكن الشكوى ستزيد يومًا فيومًا بتناقص البلوى وازدياد الراحة والرفاهة لان الراحة نفسها تصير تعبًا اذا الفها الانسان . ألا ترى انك اذا جلست على مقعد وثير ساعة بعد اخرى تعبت من الجلوس عليهِ ووددت الجلوس على مقعد خشن . وكم من مرة يضرب المترفهون في البراري والجبال ويعودون الى شظف العيش بضعة ايام فيجدونهُ الذ وافكه من كل ضروب الترفه

وازدياد الشكوى يدعو الى استنباط اساليب جديدة للراحة والرفاهة الى ان يصير اكثر اعتماد الانسان على الكهربائية والبخار والآلات والادوات التي لا تشكو تعبًا ولا ملالاً . ولا بدَّ من ان يُبدَل كل نظام بآخر افضل منهُ وادعى الى الراحة والرفاهة الى ما شاء الله ولا بدَّ من ان يقع بين زوال النظام الاوّل وقيام النظام الثاني فترة يكثر فيها التشويش والاضطراب كما حدث في الثورة الفرنسويَّة وفي كل ثورة طبيعية وسياسية وعقلية وادبية

وجملة القول ان دوام الحال من المحال وان جميع الاحوال آيلة الى افضل منها ولكن لا بد من التشويش والاضطراب عند الانتقال من حال الى أخرى . ومصير الامور كلها الى زيادة الراحة والرفاهة ولا عبرة بشكوى الناس لانها ليست قياسًا يعتمد عليهِ ولو كانت من اقوى الاسباب لتحسن الاحوال